قلعة بني راشد، دور تاريخي، واقع اثري، اشعاع علمي

Bani Rashid Fort, historical role, archaeological reality, Scientific radiation.

د/خليلي بختة*

جامعة احمد زبانة –غليزان–

khelili -histoire@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2023/01/12 تاريخ القبول 2023/01/30 تاريخ النشر 2023/02/14

ملخص المقال

تعتبر قلعة بني راشد من المعالم الاثرية، التي صنفت حديثا والتي شهدت في الفترة الاخيرة اهتماما كبيرا من السلطات المحلية والوطنية اهتماما كبيرا وكذلك من قبل المؤرخيين والآثريين.

عرفت هذه المدينة عدة محطات تاريخية منها ما قبل التاريخ والفترة الوسيطة والحديثة والمعاصرة ، وذلك من خلال ما سجل بين طيات المتون التاريخية والجغرافية .

لعبت القلعة دورا عسكريا مهما من خلال مقاومتها للاستعمار الفرنسي والاسباني، وذلك بفضل موقعها الاستراتيجي المحصن طبيعيا. كما ساهمت في ازدهار الحركة الفكرية والثقافية من خلال تشييد المساجد والزوايا والمدارس التي كان لها دور كبير في تعليم علوم اللغة والشريعة. الاسلامية.

الكلمات المفتاحية: القلعة، بني راشد، هوارة، معلم اثري، دور تاريخي

* المؤلف المراسل

***Abstract**:*

Bani Rashid Fort is one of the newly classified archaeological monuments, which has recently witnessed great interest by local and national authorities, especially historians and archaeologists.
This city knew several historical stations, including pre-history, the middle, modern and contemporary periods, through what was recorded between the folds of historical and geographical texts.
The castle played an important military role through resistance to French and Spanish colonialism, due to its naturally fortified strategic location. It also contributed to the flourishing of the intellectual and cultural movement through the construction of mosques, corners, and schools that had a major role in teaching language and Sharia sciences.

***key words**:*The castle, Bani Rashid, Hawara, an archaeological landmark, a historical role.

مقدّمة:

ان الباحث في متون المصادر التاريخية والجغرافية التي انفردت بكتابة تاريخ المغرب الاسلامي عامة والاوسط خاصة خلال العصر الوسيط امثال البكري وابن حوقل والحميري واليعقوبي، يظهر له ذلك التميز في الوصف الرائع للمدن والقرى والحصون والقصور والقلاع التي كان لها دورا كبيرا في الحرب والسلم، الا ان الكثير من هذا العمران نفتقده ولا يكاد يعرف عنه الا الاسم فقط ، كما ان جل تلك المواقع مغمورة ومجهولة يصعب الوصول اليها. والقائمة باسماء تلك المدن طويلة وعريضة ، فالباحث التاريخي والاثري الذي يبادر في رسم خريطة تاريخية وجغرافية للمغرب الاوسط خلال هذه الازمنة ، لا شك في ان تعتريه جملة من الصعوبات والعقبات التي لا يستطيع التغلب عليها الا بالقيام بعدة ابحاث وحفريات على الواقع .

ومدينة غليزان ككل المدن الجزائرية، تزخر بمعالم اثرية، ترجع الى العصور القديمة ، فقد تعاقبت عليها عدة حضارات ، تركت بها آثار قائمة الى يومنا هذا ، والتي اضفت على

المدينة بعد حضاري وثقافي، وتظل هذه المعالم تقف على استحياء لتكون شاهدا على تلك الحضارات ولتصل الماضي بالحاضر ، ومن ابرز تلك المعالم الاثرية قلعة بني راشد .

وتأسيسا لما سبق التمهيد له ارتأينا من خلال هذه المقالة، الى محاولة رصد اهم ما سجل عنها من احداث تاريخية واثرية لدى المؤرخين والجغرافيين؟ و كذا رصد اهم الادوار التاريخية التي مرت بها عبر العصور؟، فضلا عن التعريج على دورها في الحياة الفكرية والثقافية ؟.

كل ذلك سيكون مستمدا من **الاشكالية التالية**

-هل يمكن اعتبار قلعة بني راشد معلم اثري بامتياز ؟ ماهو دورها تاريخيا، وفكريا؟

ومن اجل اعطاء الاجابة على هذه الاسئلة توجب علينا الاعتماد على **المنهج التاريخي التحليلي** الملائم للسرد والتحري عن العديد من الكتابات التاريخية حول قلعة بني راشد **وكذا الوصفي** القائم على وصف المعالم الاثرية بالفحص والتمعن فيها من زخرفة ورسم وتصوير .

وسنختم مقالنا هذا بجملة من الاستنتاجات والتوصيات حول اهمية قلعة بني راشد

1-صورة قلعة بني راشد لدى المؤرخين والجغرافيين:

تعد الكتابات التاريخية والجغرافية من المصادر المهمة لكتابة تاريخ قلعة بني راشد ، لاحتوائها على معلومات قيمة، من حيث نشأتها وتأسيسها، والادوار التاريخية التي تعاقبت عليها ،كما لم تخلوا تلك المصادر من ذكر بعض الاسماء التي تسمت بها القلعة عبر الازمنة التاريخية.

- قلعة بني راشد ومسمياتها عبر العصور:

ورد ذكر القلعة بالعديد من التسميات في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والأجانب منذ القدم إلى غاية الفترة المعاصرة من أجل تحديد موقعها وأهم الأحداث التي احتضنتها ودور أعلامها وصلحائها، ومن هذه التسميات التي اشتهرت بها القلعة نجد

التسمية الحالية وهي قلعة بني راشد التي تشتهر بها المنطقة في الفترة المعاصرة ،كما سميت هوارة نسبة لقبيلة هوارة[1] ، ووردت بالاسم الامازيغي تاسقدلت، عند المؤرخ أبو عبيد البكري اذ قال عنها "وهي قلعة في جبل لها ثمار ومزارع، وتحت هذه القلعة يجري نهر سيرات وهو النهر الذي يسقى به فحص سيرات، وطول الفحص نحو أربعين ميلاً ليس منه شيء إلاَّ يناله ماء هذا النهر، إلاَّ أنَّه اليوم غامر غير عامر لا أهل فيه لأنَّ الخوف أجلى أهله"[2] وانفرد ابن حوقل بتسميتها بعين الصفاصف[3] ، و سميت كذلك باسم الرباط في كتاب الاستبصار، إضافة إلى الطاوة الاسم القديم عند بطليموس[4].

وبالمثل تحدث المؤرخ الجغرافي صالح مارمول عن القلعة وموقعها في القرن السادس عشر في قوله " قلعة بني راشد إقليم أو إمارة خاصة تمتد طولاً على مسافة سبعة فرسخا وعرضا على تسعة فراسخ. وطرفها الجنوبي سهل وشمالها تلال يصلح بها الزرع وتجود المراعي[5] ".

و الظاهر ان صاحب كتاب الاستبصار هو الآخر حدد لنا موقع قلعة هوارة حيث قال "أنَّها تقع في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب، وتحتها فحص طوله نحو 30 ميلاً يشقه نهر سيرات ويسقي أكثر أرضه، يسمى ذلك الفحص سيرات باسم النهر"[6].

كما سعى المؤرخ الحسن الوزان في تحديد موقع قلعة بني راشد ووصفها في قوله "بأنَّها على طول يبلغ خمسين ميلاً، وفي عرض يبلغ خمسة وعشرين ميلاً. ويقع قسم منها في السهل وهو الجنوبي، أمَّا الآخر؛ أيّ الشمالي، فيكاد يكون كله عبارة عن تلال. وفي كلا القسمين أراضي زراعية طيبة"[7] .

ويقسم الوزان إقليم بني راشد إلى قريتين تدعى الأولى "بقرية هوارة تضم أربعين بيتا من الصناع والباعة وقد بنيت على هيئة حصن على سفح جبل بين واديين. وتسمى الثانية المعسكر[8] ".

ونظرا لموقعها الاستراتيجي فلم يتركها جغرافي الا وحدد موقعها فهذا الحميري يقول عنها : قلعة هوارة بالمغرب وبقرب تيهرت، وهي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب، وتحتها فحص طوله أربعين ميلاً يشقه نهر سيرات ويسقى أكثر أرضه فسمي ذلك الفحص (سيرات) باسم النهر، ونهر سيرات نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة أزواوا[9].

كما جاء وصف اليعقوبي للقلعة في قوله : "ومن مدينة تاهرت وما يحوز عمل ابن الافلح الرستمي الى مملكة رجل من هوارة يقال له ابن مسالة الاباضي إلا انه مخالف لابن الأفلح يحاربه و مدينته التي يسكنها يقال لها الجبل منها إلى مدينة يلل "[10].

ويعتبر البوعبدلي ان القلعة ذلك الحصن المشهور؛ أيّ الرباط ،يضم بعض القرى المجاورة له كمصراتة والدبة وتليوانت والسمار والتراق، باعتبار أنَّ الكثير من المؤرخين وأصحاب الطبقات ينسبون علماء هذه القرى إلى القلعة[11].

اما خلال الفترة المعاصرة فانحصر موقع القلعة، على بعد 32 كلم غرب ولاية غليزان؛ أيَّ في الجهة الجنوبية الغربية من الولاية، يحدها شمالاً بلدية سيدي سعادة ومن الجنوب بلدية المنور بولاية معسكر وشرقا عين الرحمة وغربا بلدية سجرارة بمعسكر وذلك حسب موقع (Google Earth) وهي على نحو 19 كلم جنوب يلل وقرب جبل بربر[12] .

-الدور التاريخي لقلعة بني راشد عبر العصور

ظلت قلعة بني راشد حاضرة عبر كل عصور التاريخ الجزائري الوسيط والحديث وحتى المعاصر بنشاطها الاقتصادي ودورها العسكري واسهامها الحضاري[13].

ا/ القلعة في العصور الوسطى:

اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيس القلعة فمنهم من قال أنَّ القلعة كانت موجودة قبل الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا ومنهم من قال أنَّ القلعة أسسها الأتراك بعد دخولهم الجزائر[14].

وما يلاحظ ان قلعة بني راشد لعبت دورا كبيرا خلال عدة حقب تاريخية، فالباحث في علم الاثار يتهيأ له من النظرة الاولى لموقع القلعة ان تاريخها يعود الى العصر الحجري الاول، وهذا ما ستؤكده الحفريات ان تم القيام بها على الكهوف الكبيرة الموجودة بضواحيها، شانها شان مغارة الكوة التي اكتشفت فيها بقايا عظام [15] .

والمتفق عليه أن فضل تأسيس مدينة القلعة يعود إلى قبيلة هوارة البربرية العتيدة التي كان مركزها الأصلي بنواحي ليبيا حاليا وقد شاركوا بعد إسلامهم في الفتح الإسلامي ورافق الكثير منهم في فتح الأندلس وبقوا بالأندلس[16] .

كما كان لقبيلة هوارة وملوكها دورا كبيرا في الحياة السياسية من خلال مشاركتهم في الاحداث الدائرة في عصرهم ومن ذلك اتصالهم بالرستميين، فكانت هوارة تقطن في ضواحي مدينة تاهرت التي كانت خلال تلك الفترة عاصمة للرستميين، والمعروف من خلال الاحداث التاريخية ان العلاقة بينهما اتسمت بالانسجام والتعاون، اذ كانت قبيلة هوارة من القبائل البرنسية التي ساهمت في تاسيس الدولة الرستمية وتعزيز اركانها[17] . وكان لهذه القبيلة ارتباط وثيق بالاحداث التي جرت في عهد الإمام الثاني عبد الوهاب بن رستم(168_208هـ) [18] في محاولة احد رؤساء هوارة من بني الأوس الزواج من ابنة رؤساء البربر لواتة[19]، حيث ان سياسة الإمام عبد الوهاب بن رستم كانت ضد هذه المصاهرات التي تقوم بين القبائل الكبرى في دولته و ذلك جزء من سياسته للحفاظ على الأمن الداخلي خوفا من الانقلاب و ما شابه ذلك[20]، فمنع حدوث ذلك الزواج، وهو ما حز في نفسية رئيس قبيلة بني الأوس و اغضب عشيرته وأدى هذا إلى رحيل جموع منها عن مضاربهم ونزوحهم إلى جبل ينجان [21].

ويبدوا انه تعاقب على قلعة بني راشد عدة قبائل منها ماهو بربري محض، ومنها ماهو عربي الا ان ابن خلدون يؤكد ان قبيلة بني يلومي هي اول من استوطنت قلعة بني راشد ، ويقول انه لا يعرف نسبهم بالضبط والاحرى انهم من قبائل زناتة[22] ، ويقال

ان قبيلة بني يلومي جاءت محل قبيلة بني يفرن[23] ، وارتبط زمن تواجدهم بتواجد الصنهاجيين، حيث جاء في قول ابن خلدون" وبنو وامان كانو حلفاء لاخوانهم وجيرانهم بني يلومي"[24] ، ويشيد بهم ايضا في موضع اخر ان هاتين القبيلتين من اوفر بطون زناتة واشدهم شوكة ومواطنهم جميعا بالمغرب الاوسط[25] .

ولما أصبحت بني يلومي من الأمم الغابرة ظهرت قبيلة هوارة التي تضاربت الآراء حول نسبها كما ذكرنا سابقا، إذ يذكر ابن خلدون : "هي من بطون البرانس باتفاق من نسابه العرب والبربر ولد هوار بن مازيغ بن برنس إلا ما يزعم بعضهم انه من عرب اليمن تارة يقولون أنهم من بطون قضاعة و تارة أخرى يقولون من ولد المسور بن السكاسك بن وابل[26]".

كما تزامن وجودها مع الدولة الحمادية و المرابطية و الموحدية و لعل هاتين الأخيرتين كانتا سببا في اضمحلال القبيلة فبعد ظهور دولة الموحدين انضمت قبيلة بني وامانو إليها متخلين عن أبناء عموميتهم بني يلومي الذين ظلوا على ولائهم للمرابطين و بذلك اضمحل شان بني يلومي و انقرض عزها واضمحلت شوكتها، ذلك لأنها دخلت في حروب كثيرة مع قبيلة بني وامانوا بسبب اختلاف المصالح والولاء [27].

كانت قبيلة هوارة على اتصال مع سلاطين بني زيان الاوائل ، وعمدوا الى تقديم خدماتهم لهم ، فاستعمل السلطان الزياني ابو تاشفين الاول(718-737هـ) الامير الهواري يعقوب بن يوسف قائدا على بني توجين اعداء بني عبد الواد، لفرض المغارم عليهم فقام بالمهمة المنوطة له احسن قيام، وعمل على اذلالهم خدمة للسلطان [28] ، وخلال فترة الاحتلال المريني للمغرب الاوسط خلال فترة ابي الحسن المريني تقلد نفس نهج ملوك بني زيان في تعيين ملوك القلعة لخدمته، الا ان الحروب والصراعات التي كانت بين كل من الزيانيين والمريينيين والحفصيين عجلت بهلاك موطنهم حيث أصبحت مسرحا للمعارك و العمليات [29]، وهو ما اشار اليه ابن خلدون بنهاية ملوك القلعة من

هوارة وتلاشي حالهم على يد بني عبد الواد من غير تفصيل يذكر[30] ، وقد ألحقت قلعة هوارة في القرن التاسع الهجري بمواطن الراشدية وصارت تعرف بقلعة بني راشد، بعد أن احتفظت باسم مؤسسها من قبائل هوارة حوالي ثلاثة قرون الذين أسسوها في أوائل القرن الخامس الهجري، وإن جردت القلعة من اسم مؤسسها الذي استبدلته باسم محتليها الجدد –أيّ بني راشد– فجبلها احتفظ إلى عهد قريب باسم مؤسسيه وساكنيه من قبائل هوارة [31] ، وهو ما ورد عند صاحب كتاب احوال قلعة بني راشد "ودام تغلب بني راشد على بسائط المغرب الاوسط مدة مديدة تقرب من ثلاث مئة سنة ثم ركد ريحهم بظلمهم وذهبت رياستهم بحيفهم ، وصارو خولا للسلطنة في المائة الثامنة"[32] .

ب/**الفترة العثمانية(1517_1830)**

دخلت مدينة القلعة تحت نفوذ القائد عروج التركي، حيث كان إسحاق بن يعقوب أول عامل عليها من الأتراك فقد كلفهم بتنفيذ عمليات صغرى لإزعاج الاسبان في وهران و حرمانهم من حرية النقل وفرض عليهم حصار اقتصادي كون أن القلعة كانت تمول الاسبان بالموارد الاقتصادية [33].

بعد هجرة السكان لها أصبحت بمثابة عاصمة لبايلك الغرب نظرا لما فيها من مميزات دفاعية و قربها من الولايات، فقد حطت الدولة العثمانية رجالها بالجزائر بأمر من السلطان سليم و بقيادة عروج فقام بطرد القبائل البربرية إلى الصحراء و حدثت حرب ضروس دامت قرابة خمسة عشر سنة[34] و بعد الانتهاء من الفتن رتبت الدولة العثمانية أمور القلعة بقيادة الباي[35] ، بينما كان عروج في تنس ينظم أمورها و يصلح شؤونها حضر إليه وفد من سكان مدينة تلمسان ليشتكي له من الأوضاع المزرية التي آلت إليها العاصمة الزيانية و تهديد الاسبان لها، لبى عروج طلب الوفد مستخلفا أخاه خيرا الدين على المدينة[36].

اتخذ عروج طريقه إلى تلمسان بين الهضاب الداخلية حتى لا يصطدم بالإسبان في ناحية وهران فيصدوه عن تلمسان أو يقطعوا عنه خط الرجوع، و لما وصل قلعة بني راشد اتخذ منها مركزا لحماية خطوط مواصلاته و ترك حامية بها تضم ست مائة مقاتل تحت إمرة أخيه إسحاق بن يعقوب[37] ثم زحف الى تلمسان كما أكد لأخيه على تشديد الخناق على الإسبان المقيمين في وهران و هذا بقطع المؤونة عليهم[38] . عندما وصل إسحاق بقواته إلى القلعة وجد القوات الاسبانية تحاول اقتحام المدينة فجرت بينهما معركة كبيرة انتهت بانتصار الأتراك و قتل سبع مائة من جيوش الاسبان و اسر منهم ثلاثة، و استطاعت القوات التركية دخول القلعة و الاعتصام بها[39].

ضاقت احوال النصارى بسبب الحصار عليهم من طرف الاتراك، فاشتد الامر عليهم، فانتهز بذلك الفرصة السلطان الزياني المستوطن بمدينة فاس ابو حمو موسى، وارسل الى النصارى رسالة مفادها انه بسبب انقطاع دولتنا عنكم وتمكن الاتراك منها ، فقال لوكنتم اعنتمونا على قتال العثمانيين وساعدتمونا بالعدد والعدة ما لحق بكم هذا ، فانظروا "الان في هذا الامر وتداركوا الحال"[40] ، اعتبر الاسبان وجود العثمانيين في المنطقة خطرا كبيرا فأسرع الحاكم الاسباني الذي كان يحكم وهران دي كوماريس إلى اسبانيا و التقى بكارلوس الخامس شارحا له خطورة الموقف، عندها قرر الملك إرسال حملة عسكرية لتدارك الوضع[41] ، بعدما تم الاتفاق مع السلطان الزياني فجاء بجيشه و تحالف مع القوات الاسبانية ضد العثمانيين ، و قد تمكنوا منهم ، فكانت القلعة مسرحا لمعركة بين الأتراك من جهة والإسبان وأبي حمو صاحب تلمسان من جهة أخرى. وبها قتل إسحاق أخو عروج سنة 1517 واسكندر الذي قام مقام اسحاق، ثم خرج عروج ومن معه يقاتلون حتى توفي هو وجنوده وهذا حسب قول صاحب كتاب احوال قلعة بني راشد" وكان مقتل ألكسندر القائم بالقلعة وأخوه عروج بعد أن غزاها الاسبان من

وهران في جمادى الثانية سنة 924هـ/1517م ومات مع الأخوين خلق كثير من القرية المسماة الرابطة[42].

أعيد الحصار على قلعة بني راشد مرة ثانية و لكن نصرهم لم يدم طويلا[43] ، فلما سمعت القبائل ما جرى لاحقت الاسبان مع اقلية من الأتراك ووقع قتال عنيف بأرض السمار و واد مصراتة و لم تنجم المعركة إلا عن خمس مائة قتيل من الفريقين، و بقي الاسبان معظمهم في القلعة متحصنين غير أن الباي مصطفى بوشلاغم كان له من الدهاء نصيب فقد حول عاصمته من مازونة إلى مستغانم كي يشن الغرات على وهران مرة وعلى القلعة مرة أخرى فرجعت بذلك القلعة تحت نفوذه [44].

ج/القلعة خلال الفترة الاستعمارية 1830 – 1876

لا يخامرنا شك في ان الاحتلال الفرنسي للجزائر لم يتسحوذ على كل المناطق دفعة واحدة ، ومن تلك المناطق التي استعصت عليه : قلعة بني راشد فنجد انه احتل "وهران، ارزيو، مستغانم، ثم مزغران[45] ".

لقد سيطرت القوات الاستعمارية على قلعة بني راشد و هذا بعد عدة محاولات لغزوها، لكن سرعان ما فشلت أمام مقاومة العروش و القبائل إلى غاية 1257هـ 1842م، واجه الاستعمار عدة مقاومات شعبية تحت لواء كل من الامير عبد القادر، بومعزة، بوزيان القلعي .

و لما بويع الأمير عبد القادر عام 1832 من طرف مجلس علماء معسكر [46] وسائر علماء والأعيان من قلعة هوارة و أحوازها كبني شقران، و بني غد وسجرارة و قبائل غريس و أحيائه وغمائره، و أعيان القبائل الشرقية كبني خويدم و عكرمة و الغرابة و الزمالة [47].

وادراكا باهمية المدينة واحوازها قام بإصلاح القيادة حيث اسند قيادة القلعة للسيد محمد بن الجيلاني المعروف بالخروبي ودام قائدا عليها إلى غاية وفاته ، ثم عقبه عبد القادر بن قربيس ثم عزله وولى مكانه حمو بن قدار[48].

من جانب آخر قسم كذلك القلعة و جعل عليها قائدين، قائد على البلدية حمو قدار و قائد على القرعلية حسن ولد محمد التركي ثم اخرج القرعلية من قلعتهم، بيدا انه عزل كذلك حمو ابن قدار وولى بها قائد بن مغنية و منها استولت عليها السلطات الاستعمارية سنة 1257هـ[49].

لقد كان دخول الاستعمار الفرنسي إلى قلعة بني راشد من جهة مدينة معسكر، ففي ذلك الحين كانت كلتا المدينتين في إطار نفس الإقليم، فقد شنت فرنسا عدة حملات على مدينة معسكر، وسيطرت عليها في عام 1842 كما أخضعت قلعة بني راشد و احوازها الدبة و مسراتة و تليوانت تحت شروط، ووضعت المنطقة تحت أوامر بني شقران [50].

لم تسلم قلعة بني راشد من السياسة الإدارية الفرنسية حيث قامت بتغيير قادتها، كان أول من تولى الحكم و تمثيل الإدارة الفرنسية السيد منور ولد المداني ولد أبي فاتحد ثم تولى مكانه أخوه الأخضر المذكور، ثم تولى مكانه السيد المنور المزبور ثم تولى مكانه حمو بن قدار نحو ستة أشهر و رجع لقيادتها الفقيه السيد المنور بالمداني القرغلي المذكور و دامت أيامه فيها إلى أن توفي سنة 1888، و هذا السيد خدم الدولة الفرنسية بنية و صدق [51] ،فقد كانت كلمته مسموعة و كان نصوحا للحكومة و لذلك طالت أيامه إلى أن توفي ليتم تنصيب ابنه بوعمران، ثم دخلت القلعة وقتها تحت ادارة غليزان مما أدى إلى تغيير القادة[52].

وفي ظل السيطرة الاستعمارية الفرنسية لقلعة بني راشد ظهر الثائر بومعزة بعد ذهاب الأمير عبد القادر إلى المغرب الأقصى سنة1843، حيث شهدت منطقة القلعة واحوازها

اشتباكات على أرضها و الجدير بالذكر أن هذه المنطقة " بني راشد" كانت تابعة للأمير عبد القادر في إطار معاهدة تافنة سنة 1839، غير أن الاستعمار نقض هذه المعاهدة [53].

واصل القائد بومعزة ما بدأ به الأمير عبد القادر إذ دعا الناس إلى الجهاد و محاربة الفرنسيين، و بالفعل قد زوده السكان بالأموال و الأسلحة والذخائر و البغال كوسيلة للانتقال و الحمل و الاتصال[54] ، فقد انطلقت ثورة بومعزة من الظهرة و عايشت ثورة سيدي الأزرق بلحاج ففي سنة 1845 اندلعت ثورة بومعزة التي قادها الشريف محمد بن عبد الله و قد عمت كل مناطق غليزان و زمورة و القلعة حيث وصلت إلى نواحي معسكر[55]، كما انه احتل مع قواته جميع النقاط الإستراتيجية في سهل الظهرة الممتد من تنس إلى مستغانم[56].

قد اثبتت منطقة قلعة بني راشد بسالتها مرة أخرى بعدما أنهى الإستعمار الفرنسي مقاومة الأمير عبد القادر و القائد بومعزة في المنطقة، إذ تجددت المقاومة على أراضيها خلال الستينات و السبعينات من القرن الماضي، فقد كان بوزيان القلعي من بقايا المقاومة التي لم تخمد نارها، وقيل أنه كان من الساخطين على تغيير البنية الإجتماعية التي جاء بها قانون 1863 و التي قصد من ورائه إنتزاع الأراضي من أهلها و منحها للكولون، إذ كان يهاجم المزارع التي أقامها الفرنسيون على أنقاض الأراضي المغتصبة من أصحابها[57].

-القلعة، واقع اثري

الظاهر أنّ قلعة بني راشد التّي ذاعت شهرتها منذ فترة القرون الوسطى على حدّ ما يُستقى من كتب الرّحالة والجغرافيين العرب، قد زادت أهميتها العمرانية خلال الفترة الحديثة بشكل لافت للنّظر، حسب شهادة الحسن الوزان االذي عايش الصراع القائم بين العثمانيين وأحلافهم بالمغرب الأوسط من جهة، والجيوش الإسبانية وأحلافها من

جهة ثانية، خلال القرن العاشر الهجري (933هـ / 1526م)، الذي يقول أنّ قلعة بني راشد هي أحدى الحاضرتين الرّئيسيتين في إقليم بني راشد، الخصب بأراضيه، والغني بثرواته، ... على أنّها قلعة حصينة ... تتكون من نحو أربعين بيتا للصّناع والتّجار[58]،. أي بعبارة أوضح كانت بمثابة مركز حرفي وتجاري جهوي هام آنذاك.

في حين ذكرها الجغرافي مرمول كربخال الإسباني الذي طاف هو الآخر من بعده أرجاء بلاد المغرب، ووصف قلعة بني راشد قائلا: "بُنيت على سفح تلّ بين جبلين عاليين، تحيط بها أسوار ذات أبراج على هيئة القلاع الحصينة يسكنها تجار وصنّاع مياسير، ...[59]" ، ويفهم من هذا الوصف المقتضب ذلك التّحوّل العمراني الذي عرفته قلعة بني راشد في ظلّ الحماية العثمانية الباكرة، حيث دُعّمت على ما يبدو بسور خارجي لحمايتها، مزود بأبراج قوية .

غير أنّ قمّة ازدهار عمران قلعة بني راشد كان في عهد الباي مصطفى بوشلاغم، حيث عادت هذه الأخيرة بمثابة عاصمة لبايليك الغرب، قبل أن تتبوأ هذه المرتبة الرّفيعة مدينة معسكر، ثمّ مدينة وهران[60] .

ثمّ ما فتئ عمران القلعة في التّراجع رويدا، رويدا مع مرور الزّمن، وتسارع الأحداث التّاريخية بالمنطقة، حسب ما وصفها الرّحالة البريطاني "الدكتور شو" "بأنّها مدينة صغيرة، مبنية على مرتفع شاهق، كما يدّل عليها اسمها، لكنها جدّ متسخة بسبب تلف شبكة صرفها الصّحي، وأنّ شوارعها ودروبها غير مبلّطة، وبها قصبة تقطنها حامية عثمانية صغيرة في عهده؛ إلاّ أنّ زلزال خريف عام (1887)م أتى على كلّ تلك المباني، وما بقي منها اليوم، لايتجاوز عمره التّاريخ المذكور"[61].

وصفوة القول ان لمعالم قلعة بني راشد المعمارية اهمية متميزة في مجال التراث المعماري وتثمينه ، فهي تتميز بانها عمارة ريفية عريقة ، تتوفر فيها جميع شروط ومواصفات ميثاق المجلس الدولي للمعالم التاريخية والمواقع الاثرية(اكوم)الصادر عام 1999 الخاص بصيانة

المباني الريفية المهددة بخطر الزوال بفعل ما يعرف بالحداثة، وموقع اثري هام حول قلعة حصينة، كان لها دور عسكري واقتصادي واجتماعي في عملية تخليص منطقة الغرب الجزائري من طغيان العدو الاسباني على يد العثمايين[62].

-القلعة اشعاع علمي

والظاهر ان الغرب الجزائري يزخر بالعديد من المدن والمراكز العلميّة والفكريَّة التي حظيت بقدر لا يستهان به من الإشعاع الحضاري، وقلعة بني راشد لا تقل اهمية عن ذلك فقد استفحل دورها خلال أطوارها التاريخية التي مرت بها .

لقد ساهمت القلعة في ازدهار الحركة الفكرية والثقافية بفضل تشييدها للمساجد و الزوايا و الأضرحة المتواجدة بها و التي كان لها دور في تعليم الفقه المالكي و علم التفسير و علم التنجيم و علم الأصول، وذلك من خلال ما قدمه العلماء والصلحاء والشيوخ وطلبة العلم بها وحتى حكام البلاد، سواء من أبناءها أو من الوافدين لها، فعملوا على تفعيل الحركة العلميّة والثقافية بها. ناهيك عن الدور السياسي الذي قاموا به في الوقوف ضد العدو ومحاربته. فاشتهر بها العديد من العلماء سواء كانوا من أهل المنطقة أو ممن زاروا القلعة أو درسوا بها [63]، واشتهرت في المجال الثقافي إبتداءا من القرن التاسع هجري.

ومن المدن التي تمركزت بالقسم الغربي للجزائر نجد تلمسان ومعسكر ومازونة وتيهرت وقلعة بني راشد أو قلعة هوارة، وتعتبر هذه الأخيرة من المدن العلميَّة التي ذاع صيتها في تحصيل العلوم وتخريج الشيوخ وحاملي الفكر، فقد قصدها الكثير من العلماء والطلبة لاكتساب العلوم والمعارف فمنهم من ولد بها ومنهم من مات بها ومنهم من مر على أرضها وترك أثره عليها، فقد احتضنت القلعة الكثير من جثمان العلماء والصلحاء والمجاهدين.

اكتسبت القلعة شهرة كبيرة في المجال العلمي والفكري بعد سنوات قليلة من تأسيسها فقد انكب اهل العلم من كافة الاقطار، أمثال الشيخ أحمد بن يوسف الملياني والشيخ الصباغ و محمد بن الخروبي القلعي والشيخ عبد القادر بن يسعد،... وغيرهم[64] .

خاتمة:

لا يخامرنا شك في ان هذه الدراسة الموسومة بقلعة بني راشد : دور تاريخي، واقع اثري، اشعاع علمي وحضاري هي تتمة لما قيل عن قلعة بني راشد في بعض المؤلفات والمقالات للباحثين الاكاديميين والهاووين، فكل منا يسعى بسعيه الى التعريف بهذا المعلم التاريخي الاثري . وتعتبر القلعة من العواصم العلمية المندثرة والتي غييبت لدى الباحثين ولم تلق العناية الكافية مثل باقي الحواضر العلمية الاخرى كتلمسان ومازونة وبجاية.

ساهمت قلعة بني راشد في الكثير من الادوار التاريخية، والذي امتزجت بين السلم والحرب احيانا، وذلك بفضل موقعها الاستراتجي المحصن طبيعيا، وكذا بما تزحر به هذه المنطقة من خيرات فلاحية وتركيبة بشرية هائلة.

كما نبغ بها ثلة من خيرة العلماء ، البعض منهم مذكور في كتب التاريخ من خلال وضع ترجمة لهم، وتمجيد جهودهم السياسية والدينية والعلمية التي قدموها خدمة لهذه المدينة ومنهم من غيب ذكره ولا نجد له أيّ ترجمة لسيرته، وذلك لضياع عدد كبير من المخطوطات والمصادر التاريخية، وكتب النسب التي تروي تاريخ هذه المدينة وأعلامها، وتبق هذه الورقة البحثية مجرد انطلاقة للنبش عن تاريخ قلعة بني راشد العريقة بأثارها وتاريخها.

الهوامش:

[1]– خليلي بختة ، اضواء على تاريخ قلعة بني راشد وسير علمائها، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 08، العدد 04، 2021، ص50–64.

[2]– أبي عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار الغرب الإسلامي، لبنان، ج2، دط، 1992، ص 737.

[3] – ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، طبعة محفوظة ، 1995، ص ص 89.88.

[4] – خليلي بختة، مرجع سابق، ص50–64

[5] – مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة مجموعة مترجمين، مكتبة المعارف للنشر ، الرباط، ج2، دط، 1989، ص 324..

[6] – مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1985، ص 178.

[7] – الحسن بن الوزان، وصف افريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 2005، ص395

[8] – المصدر السابق ، ص 396.

[9] – محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، دط، دت، ص 470.

[10] – اليعقوبي،البلدان، مؤسسة التحف الاشراف المعرف.، ص 113

[11] – المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الحميد دويب، دار المعرفة للنشر، الجزائر، ط1، 2013، ص596

[12] – خليلي بختة، مرجع سابق، ص50–64.

[13] – بن معمر محمد ن حفريات في تاريخ قلعة هوارة من التاسيس الى نهاية العصر الوسيط، مجلة المواقف، العدد:12، جامعة معسكر، 2017، ص178.

[14] –خليلي بختة ، مرجع سابق، ص50–64.

[15] – مختار حساني، موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، ج 4 مدن الغرب، دار الحكمة، ص ص 107–108

[16] – خليلي بختة، مرجع سابق، ص50–64

[17] – محمد عيسى الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس،160هـ_226ه ، دار القلم للنشر والتوزيع، ط 3 ، 1408هـ_ 1987م ،ص 126

[18] ––بن معمر محمد، مرجع سابق ،ص 179.

[19] – ابن صغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح، تع محمد الناصر، دار الغرب الإسلامي، ص 45.

[20] - محمد عيسى الحريري ، مرجع سابق، ص126.
[21] - ابن صغير، المصدر السابق، ص ص 45-46
[22] - بوزيان الدراجي، القبائل الأمازيغية -أدوارها - مواطنها - أعيانها ، ج 1، دار الكتاب العربي، 2007، ص 302.
[23] -مدني شريف، قلعة بني راشد الجوهرة الخالدة، منشورات دار الأديب، د.ط، ص 24-
[24] - بوزيان الدراجي، مرجع سابق ، ص302
[25] - ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 6، دار الفكر لبنان بيروت، 1421هـ - 2000م، ص74
[26] - المصدر نفسه، ج6، ص 182.
[27] - بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 307.
[28] - بن معمر محمد ، مرجع سابق، ص188.
[29] - خدة الطاهر،الهجرة في المغرب الأوسط واقعها واثارها من منتصف القرن السادس الى اواخر القرن الثامن هجري قرن 12_14م، اطروحة الدكتوراة في التاريخ الوسيط ،كلية العلوم الإنسانية و الإسلامية جامعة وهران 1 احمد بن بلة،2016_2017، ص 98
[30] - بن معمر محمد ، مرجع سابق، ص188.
[31] -المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، مرجع سابق، ص240.
[32] - ميلود احمد فواتيح ،كتاب احوال قلعة بني راشد للشيخ البشير البرجي، منشورات دار الاديب، 2016، ص40.
[33] -المصدر نفسه، ص41
[34] - المصدر نفسه، ص42.
[35] - الحاج عيفة ، دراسة مخطوط قلعة بني راشد، المجلة المغاربية للمخطوطات ، عدد 04، 2013، ص 252
[36] - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، د طبعة، 2009م، ص 24.
[37] -كتاب مجهول، غزوات عروج وخير الدين، علق عليه ، نور الدين عبد القادر، ط1934م،ص32
[38] - خيرة فراحي، جرد لبعض معالم مازونة وعمي موسى وقلعة بني راشد بمنطقة غليزان بغرب الجزائر —الجرد وسيلة للمحافظة، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر 2، معهد الاثار، 2011-2012، ص27
[39] - ناصرالدين سعيدوني، دخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بربروس، (1512_1543)، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر و التوزيع الجزائر العاصمة، ط 1 ، 2012م، ص ص 172.173.
[40] -كتاب مجهول، مرجع سابق، ص32ز
[41] - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 15.

[42] – ميلود احمد فواتيح، مصدر سابق، ص42-43
[43] – مديرية الثقافة لولاية غليزان المرجع السابق، ص 70
[44] – بوزيد رواشد و آخرون، تاريخ قلعة بني راشد و علمائها، المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية بغليزان، دفعة جوان ، 2004، ص ص 15-16.
[45] – شارل روبير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور ، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط1، 1982، صص 27_28
[46] – نزار اباضة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر ، دمشق بيروت، ط1 ، 1414هـ_1994م، ص 10
[47] – محمد مفلاح، سيدي الأزرق بلحاج رائد ثورة 1864 المندلعة في منطقة غليزان، ص 40
[48] – الحاج عيفة، مرجع سابق، ص255
[49] – المرجع نفسه، ص 255.
[50] – Betoutia ali. Kalaa des bani rached imprimé numerique. Lille. France. P 61
[51] – الحاج عيفة، مرجع سابق، ص255.
[52] – المرجع نفسه، ص255،
[53] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية و الوطنية، عالم المعرفة للنشر و التوزيع الجزائر، طبعة خاصة ،2009
[54] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر ي القرنين التاسع عشر والعشرين المرجع السابق، ص 80.
[55] – محمد مفلاح، المرجع السابق، ص 43.
[56] -Ali betoutia. Op.cit. P 60 .
[57] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1998، ص 332
[58] – الحسن الوزان، ، مصدر سابق، ط1983،2، ج2،ص26
[59] – مرمول كربخال، مصدر سابق، ج2، ص324.
[60] – بلعباسي العالية،قلعة بني راشد بغليزان، مذكرة ماجستير، في الاثار الاسلامية، جامعة الجزائر 02، 2011-2012، ص68.
[61] – المرجع نفسه، ص68.
[62] – المرجع نفسه، ص63
[63] –مديرية الثقافة لولاية غليزان، المرجع السابق ،ص71 .
[64] –خليلي بختة، مرجع سابق، ص8،9.

المصادر والمراجع:

-أبي عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار الغرب الإسلامي، لبنان، ج2، دط، 1992.

– ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، طبعة محفوظة ، 1995.

– مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة مجموعة مترجمين، مكتبة المعارف للنشر ، الرباط، ج2، دط، 1989،.

– مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1985.

– الحسن بن الوزان، وصف افريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 2005.

– محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، دط، دت.

– اليعقوبي،البلدان، مؤسسة التحف الاشراف المعرف.

– ابن صغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح، تع محمد الناصر، دار الغرب الإسلامي.

–ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 6، دار الفكر لبنان بيروت، 1421هـ - 2000

–كتاب مجهول، غزوات عروج وخير الدين، علق عليه ، نور الدين عبد القادر، ط1934م

المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الحميد دويب، دار المعرفة للنشر، الجزائر، ط1، 2013

– أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1998

– بن معمر محمد ن حفريات في تاريخ قلعة هوارة من التاسيس الى نهاية العصر الوسيط، مجلة المواقف، العدد:12، جامعة معسكر، 2017.

– مختار حساني، موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، ج 4 مدن الغرب، دار الحكمة.

– محمد عيسى الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس،160هـ_226هـ ، دار القلم للنشر والتوزيع، ط 3 ، 1408هـ_ 1987م

– بوزيان الدراجي، القبائل الأمازيغية –أدوارها – مواطنها – أعيانها ، ج 1، دار الكتاب العربي، 2007،

–مدني شريف، قلعة بني راشد الجوهرة الخالدة، منشورات دار الأديب، د.ط.

–ميلود احمد فواتيح ،كتاب احوال قلعة بني راشد للشيخ البشير البرجي، منشورات دار الاديب، 2016،

–الحاج عيفة ، دراسة مخطوط قلعة بني راشد، المجلة المغاربية للمخطوطات ، عدد 04، 2013.

– يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، د طبعة، 2009م.

– ناصرالدين سعيدوني، دخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بربروس، (1512_1543)، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر و التوزيع الجزائر العاصمة، ط 1 ، 2012م.

– بوزيد رواشد و آخرون، تاريخ قلعة بني راشد و علمائها، المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية بغليزان، دفعة جوان ، 2004.

– شارل روبير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور ، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط1، 1982.

– نزار اباضة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر ، دمشق بيروت، ط1 ، 1414هـ_1994م.

– محمد مفلاح، سيدي الأزرق بلحاج رائد ثورة 1864 المندلعة في منطقة غليزان.

– يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية و الوطنية، عالم المعرفة للنشر و التوزيع الجزائر، طبعة خاصة 2009.

– يحي بوعزيز، ثورات الجزائر ي القرنين التاسع عشر والعشرين المرجع السابق.

– مديرية الثقافة لولاية غليزان المرجع السابق.

المراجع بالفرنسية:

Betoutia ali. Kalaa des bani rached imprimé numerique. Lille. Franc

المذكرات:

– خدة الطاهر،الهجرة في المغرب الأوسط واقعها واثارها من منتصف القرن السادس الى اواخر القرن الثامن هجري قرن 12_14م، اطروحة الدكتوراة في التاريخ الوسيط ،كلية العلوم الإنسانية و الإسلامية جامعة وهران 1 احمد بن بلة،2016_2017.

– خيرة فراحي، جرد لبعض معالم مازونة وعمي موسى وقلعة بني راشد بمنطقة غليزان بغرب الجزائر –الجرد وسيلة للمحافظة، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر 2، معهد الاثار، 2011-2012.

– بلعباسي العالية،قلعة بني راشد بغليزان، مذكرة ماجستير، في الاثار الاسلامية، جامعة الجزائر 02، 2011-2012.

المقالات:

– خليلي بختة ، اضواء على تاريخ قلعة بني راشد وسير علمائها، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 08، العدد 04، 2021.